الدكتور محمود علي الداوود

أمّ المَعارك

الخلفية السياسية والتاريخية للعدوان على العراق عام 1991





منشورات الطليعة

1999

أم المعارك : الخلفية السياسية والتاريخية للعدوان على العراق

أ.د محمود علي الداوود

بغداد - 1993

بعد كل حرب اقليمية أو دولية يبدأ المؤرخون بجمع المادة التأريخية ذات الصلة المباشرة بتلك الحرب وهذه عموماً تشكل وبالدرجة الاولى الوثائق الرسمية السياسية والعسكرية والاقتصادية لدول الأطراف المتنازعة فضلاً عن الكتب البيضاء والبيانات والتصريحات الرسمية والتحليلات الصحفية وتقارير ومحاضر القضايا ذات العلاقة في المنظمات الدولية. ويحتاج المؤرخ المتجرد الى بعض الوقت للاطلاع على الوثائق الرسمية كافة التي طالما تحجم الدول عن السماح بالاطلاع عليها إلا بعد انقضاء مدة طويلة من الزمن . وتضع بعض الدول شروطاً للاطلاع على تلك الوثائق ولا تسمح باعطاء الموافقات اللازمة إلا بعد مرور ثلاثين أو أربعين سنة على نهاية الحرب. وحتى بعد مرور تلك المدة الطويلة فان الكثير من الوثائق السرية للغاية تبقى سرية للغاية وتحجب عن المؤرخين وخصوصاً التقارير الأمنية والاستخبارية . ولكن هذا لا يمنع المؤرخ من الدخول في غمار المناقشات العامة والمساهمة في التحليل السياسي واستنتاج العبر من مجريات الأحداث وفي ضوء فهمه للخلفية التأريخية .

إن التأريخ يؤكد ان الشعوب التي تمتعت بالقيادة والجرأة والتصميم والارادة هي شعوب حية لم تقبل الضيم . كما أكد التأريخ ان عهود النكبات

في التأريخ الانساني كانت دائماً حافزة الى التفكير في الماضي وفي المصير ومثيرة للاهتمام في تفسير التأريخ وتعليله • إن الأزمات هي التي تدفعنا الى إقامة حياة جديدة وتدعونا في الوقت ذاته الى أن نستلهم الماضي ونستمد منه عناصر القوة والفخر والاعتزاز •

ومن الواضح البيّن ان المجتمع العربي اليوم هو في طور انبعاث وتحرك يتمخض بقوى عديدة وشديدة تدفعه الى التبدل والتحول فلقد انتهى الدور الطويل ، الممتد على خمسة قرون أو تزيد ، والذي كان فيه سادراً مستكيناً بفعل عوامل مختلفة ، داخلية وخارجية ، تضافرت على إحلاله تلك الحال من الشلل والاستكانة وبدأ منذ أوائل هذا القرن ـ أو قبل ذلك بقليل ـ دور جديد ، دور يقظة وتنبه وتحفز • وسرت قوى التنبه هادئة متفرقة في أول الأمر ثم أخذت تشتد وتتفاعل وتتجمع بفعل التطور ذاته وبفعل الأحداث العالمية المتتابعة الى أن بلغت في النصف الثاني من القرن العشرين درجة من الشدة والحدة جعلتها تفرض ذاتها لا على الشعب العربي فحسب بل على انظار العديد من الشعوب الأخرى وقادتها[1] •

وشهدت بدايات القرن العشرين صراعاً مريراً بين حركة القومية العربية التي ناضلت من أجل الاستقلال الوطني والتحرر من التخلف والتبعية وعلى طريق الوحدة العربية وبين القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية التي بدأت بوضع المخططات الخبيثة من أجل استعادة مواقعها في المنطقة العربية واستخدام أساليب جديدة للسيطرة على مقدرات الأمة العربية الاقتصادية والسياسية والعسكرية •

جذور الصراع بين مراكز القوة العربية وبين المصالح الاستعمارية والصهيونية

حققت العديد من الاقطار العربية استقلالها من الاستعمار الاجنبي خلال العقود القليلة التي تلت الحرب العالمية الثانية وتأسست الجامعة

العربية وأصبحت الدول العربية أعضاءً في منظمة الامم المتحدة • إلا انه من الملاحظ ان تلك الدول لم تتمكن من اختراق حاجز القطرية الى رحاب الوحدة كما انها لم تتمكن من تحقيق عمل عربي مشترك بنّاء يضع قواعد رصينة للوحدة السياسية أو في الأقل للوحدة الاقتصادية أو الثقافية • كما انها فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق ستراتيجية عربية لتحرير فلسطين أو في الأقل عرقلة التوسع الصهيوني المستمر على حساب الشعب العربي الفلسطيني وعلى حساب الأمة العربية •

وبينما كانت الاقطار العربية تتناقش حول وسائل العمل العربي المشترك ويصل النقاش أحياناً الى درجة كبيرة من العنف والحدية ويتصاعد الى درجة القطيعة العربية ـ العربية ••• كانت القوى الاستعمارية والصهيونية توزع الأدوار فيما بينها لاضعاف مراكز القوة العربية واجهاض أية محاولات جادة على طريق الوحدة العربية • ومنذ بداية السبعينات تحقق تنسيق دقيق بين واشنطن ولندن وتل أبيب وجرى العمل على تحقيق الأهداف الآتية :ـ

١ـ إعطاء الأولوية لضمان أمن الكيان الصهيوني وعرقلة أية جهود عربية حقيقية لدعم حركة التحرر الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية والسعي لافشال المقاطعة العربية لاسرائيل •

٢ـ الاتفاق على ضرورة وضع الخطط العسكرية لضمان المصالح النفطية الغربية في الخليج العربي والجزيرة العربية وربط أقطار الخليج العربية والسعودية باتفاقيات أمنية واقتصادية مع الولايات المتحدة وبريطانيا •

٣ـ السعي لعزل العراق عن منطقة الخليج العربي ومراقبة دوره القومي البارز وخصوصاً بعد إقدام حكومة الثورة على تأميم النفط عام ١٩٧٢ ودعوتها لتقديم جزء من العائدات العربية النفطية الى الدول العربية

الفقيرة • وبدأت الدول الاستعمارية بوضع البرامج لتحجيم الدور القومي للعراق في منطقة الخليج العربي •

٤ـ احتكار تجارة السلاح مع أقطار الخليج العربي والسعودية وابتزاز هذه الاقطار عن طريق الاستفادة من فوائضها المالية للاستثمار في الولايات المتحدة واوربا الغربية •

٥ ـ دعم المشاريع الايرانية التوسعية في منطقة الخليج العربي مما شجع الشاه محمد رضا بهلوي على الاقدام على احتلال الجزر العربية الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى ، وأعطت الولايات المتحدة الضوء الاخضر لايران لأن تلعب دور الشرطي في المنطقة •

موقف الولايات المتحدة من العراق إبان الحرب العراقية ـ الايرانية

من المعروف ان الرئيس الامريكي كارتر سعى وبكل الوسائل الى استبدال الشاه عام ١٩٧٩ وقد تم تشجيع التيارات الاسلامية «الأصولية» لتكون منافسة للفكر القومي العربي • وفي تلك السنة أعلن الرئيس كارتر عن خطته حول نشر قوات امريكية في منطقة الخليج العربي وتمكن من إقناع السعودية وأقطار الخليج العربي الأخرى باعطاء المزيد من التسهيلات العسكرية للولايات المتحدة في الموانىء والقواعد الخليجية وفي عمق الجزيرة العربية • وعندما تفجرت الحرب العراقية ـ الايرانية في ٤ أيلول ١٩٨٠ عقب العدوان الايراني على العراق عقدت الولايات المتحدة عزمها على إطالة أمد الحرب لانهاك الطرفين وعدم السماح لأي من طرفي النزاع المسلح بالخروج منتصراً من تلك الحرب التي لم تقم الولايات المتحدة وحلفائها بأية مساعٍ جدية لايقافها من خلال مجلس الأمن أو من خلال المفاوضات الدبلوماسية• ومن الممكن اختصار الموقف الامريكي في تلك المرحلة حيال العراق والمصالح العربية بما يأتي :ـ

١) التنسيق مع بريطانيا في الامور الخاصة بالمخابرات والتعاون الاقتصادي وإعطاء بريطانيا دوراً مميزاً في الكويت وتم التركيز على فسح المجال لنشاط بريطاني تجاري وثقافي في المنطقة باستثناء السعودية التي بقيت ضمن النفوذ الامريكي فقط •

٢) دعم قيام « مجلس التعاون الخليجي » ومساعدته لوضع خطة أمنية بعيداً عن طرفي الصراع في الحرب العراقية ـ الايرانية وتم إبلاغ الاطراف الخليجية بضرورة اضعاف العلاقات مع العراق خشية اغضاب طهران •

٣) التنسيق مع اسرائيل لاستغلال انشغال العراق في الحرب مع ايران للقيام بضربة اسرائيلية للمنشآت النووية العراقية التي تأسست للاغراض السلمية واستمرار التنسيق بين واشنطن ولندن من جهة وتل أبيب من جهة أخرى لتبادل المعلومات حول القدرات العسكرية العراقية •

٤) البدء بعقد مؤتمرات وندوات جامعية وعلمية في الولايات المتحدة لتقويم دور العراق بعد الحرب وتأثيراته القومية والدولية وقد شارك في هذه الاجتماعات خبراء من بريطانيا والدول الغربية والكيان الصهيوني •

صورة العراق في الاعلام الغربي والصهيوني بعد الحرب العراقية ـ الايرانية

بعد أن انتهت الحرب العراقية ـ الايرانية بانتصار العراق بدأت أجهزة الاعلام الامريكية والبريطانية والصهيونية بتنفيذ خطة مرسومة وضعت بعد انتصار العراقيين الكاسح في تحرير الفاو • وبموجب هذه الخطة تم توجيه الاعلام وفق الصور الآتية :ـ

١) إظهار قدرات العراق العسكرية وتفوقه في ميدان التوازن العسكري في المنطقة وبأن ذلك يشكل خطراً على أقطار الخليج العربي ويهدد الأمن الاسرائيلي •

٢) إظهار القيادة العراقية (التي كسبت شعبية قومية هائلة لا سابق لها في صفوف الجماهير العربية باعتبارها رمزاً لروح جديدة في الأمة العربية) بأنها قيادة طموحة الى درجة انها تهدد مراكز الحكام الرجعيين في الخليج العربي والجزيرة العربية •

٣) بث الشائعات ونشر معلومات مضللة حول قدرات العراق النووية •

٤) البدء بحملة اعلامية واسعة ضد العراق تحت شعارات مضللة مثل حماية حقوق الأقليات •

أما في الاطار الدبلوماسي فقد أجرت واشنطن تنسيقاً دقيقاً مع لندن استهدف ما يأتي :ـ

١) تحذير الاقطار الخليجية والسعودية من احتمال توسع الدور العراقي في المنطقة على حساب العائلات الحاكمة في المنطقة •

٢) حث الاقطار الخليجية للمساهمة في خطة لتحجيم الدور العراقي الجديد بعد النصر على ايران وتشمل هذه الخطة تشجيع الكويت على القيام بتصرفات استفزازية ضد العراق شملت المطالبة بالديون والضغط على الحكومة العراقية للموافقة على ترسيم الحدود وفق الوضع القائم (دون مراعاة لحقوق العراق التأريخية) • وشملت هذه الخطة كذلك دعم التصرفات الكويتية للتجاوز على الاراضي العراقية وخصوصاً التوسع في اتجاه نفط الرميلة حيث استغلت الكويت مدة الحرب العراقية ـ الايرانية لحفر عدة آبار في هذه المنطقة العراقية • كما عمدت حكومة النظام الكويتي الى اتباع سياسة متعمدة لاضعاف أوبك وإغراق السوق النفطية بفائض كبير ناجم عن ناتج نفطي غير متفق عليه في أوبك مما أدى الى هبوط أسعار النفط وأضرّ ذلك

بالعراق أفدح الاضرار وخصوصاً ان العـراق كان خارجاً من حـرب ضروس استمرت ثماني سنوات وكان بحاجة ماسـة لزيادة عائـداته النفطية لتغطية نفقات خطة البناء والاعمار الجديدة • وقـد ساهمت الامارات العربية في المخطط الخاص باغراق السوق النفطيـة بفائض من المنتوج النفطي خارج الحدود المعينة داخل منظمة أوبك مما أدى الى انخفاض حاد في أسـعار النفط العالمية لصالح الدول الصناعيـة الرئيسـة •

٣) القيام باتصالات دبلوماسية سـريعة مع دول حلف الاطلسي وتركيـا والاتحاد السوفياتي [سابقاً] لتشـويه صورة العراق وتبرير احتمـال اتخاذ مواقـف حادة تجاهه تصل الى درجة العدوان العسكري •

وقد بذلت الولايات المتحدة جهوداً كبيرة لاقناع الاتحادالسوفياتي الذي كان لا يزال يحتفظ بمعاهدة صداقة مع العراق ترجع الى عـام ١٩٧٢ وقد استغلت واشنطن الظروف الاقتصـادية الصعبة التي كان الاتحاد السوفياتي يعاني منها في أعقاب البيروسترويكا كمـا استغلت حالة التفكك السـائدة في تلك الدولـة الكبرى التي وقعت في فـخ المخططات الامريكية وتخلت عن دورها كدولة عظمى • كمـا مارست الولايات المتحدة ضغوطاً ممـاثلة على فرنسـا التي كانت ترتبط هي الاخرى بعلاقات صداقة وتعاون واسع مع العراق في مختلف المجالات وقد رضخت فرنسا هي الأخرى لتلك الضغوط بعد أن هددتهاواشنطن بأنها قد تعمد الى إعادة النظر في مشروعية احتفاظها بمقعـد دائـم في مجلس الأمن(٢) •

العراق يؤكد حقوقه المشروعة

في مؤتمر القمة العربي العاشر الذي انعقد في بغداد في مايس ١٩٩٠ أكد السيد الرئيس القائد صدام حسين على أهمية التضامن العربي وحذر

من المخططات الصهيونية والاستعمارية لاجهاض العمل العربي المشترك وأشار الى المؤامرة التي كانت بعض الاقطار الخليجية من أطرافها والخاصة باغراق سوق النفط العالمية بفائض نفطي يفوق ما اتفق عليه في اطار منظمة الاوبك مما أدى الى خفض حاد لأسعار النفط ومما ألحق أفدح الاضرار بمصالح العراق والامة العربية • وحذر السيد الرئيس القائد صدام حسين من مغبة الاستمرار في هذه السياسة • وفي خطابه في ١٨ تموز ١٩٩٠ انتقد علانية مواقف حكام الكويت والامارات • وفي ٢ آب ١٩٩٠ أكد السيد الرئيس القائد صدام حسين حقوق العراق الثابتة في الكويت التي كانت دوماً جزءاً لا يتجزأ من الارض العراقية عبر العصور حتى تم اقتطاعها من قبل الاستعمار البريطاني •

الدبلوماسية العربية وفرص السلام

شعر الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية ان من الواجب إزالة أسباب الخلاف والتغلب عليها من خلال وساطة تقوم بها الحكومات العربية الأخرى بحكم عضويتها في الجامعة العربية كما كان يتوجب على هذه الدول بذل جهود جادة لايجاد حل عربي مناسب للخلاف يتفق وميثاق الأمم المتحدة (الفصلان ٦/٨ من الميثاق) الذي ينص على حل النزاعات بالطرق السلمية • ورغم حسن النية التي أبداها العراق واستعداده لحل الخلاف بالطرق السلمية إلا ان المساعي الدبلوماسية التي بذلها العاهل الأردني أصيبت بفشل ذريع نتيجة لتخلي الجامعة العربية عن أية محاولة للابقاء على الأزمة داخل الاطار العربي • وقد رضخت الجامعة العربية لضغط مباشر من الرئيس المصري حسني مبارك الذي استغل الأزمة استغلالاً لا أخلاقياً ولا قومياً وقبل الرضوخ للضغوط الامريكية وباع شرف مصر لحكام الكويت والسعودية مقابل بضعة مليارات من الرشاوى ساهمت فيها أيضاً الولايات المتحدة •

إن من يطالع الكتاب الأبيض الذي أصدرته الحكومة الاردنية في آذار ١٩٩١ حول أزمة الخليج العربي يستطيع أن يحس بمرارة خيبة الأمل التي شعر بها العاهل الأردني من تصرف الرئيس المصري الذي يتحمل مسؤولية تأريخية عظمى • ففضلاً عن جهوده في إقناع ملك السعودية بالرواية الامريكية المزيفة عن احتمال قرب قيام العراق بمهاجمة السعودية (وكان هذا محض افتراء) فانه وضع كل العراقيل أمام إبقاء الأزمة داخل الأسرة العربية وحلها في الاطار القومي كما مهدت أدواره الخبيثة لدخول القوات الامريكية في الخليج العربي والجزيرة العربية[٣] • ويمكن القول ان دور الرئيس المصري كان في غاية الخطورة بمساهمته الفعالة في ترتيب العدوان على العراق ولا يوجد في تأريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر من يضاهي تصرفات هذا الحاكم في مدى الاضرار التي أحاقها بالأمة العربية حاضراً ومستقبلاً •

ومن ناحيته بذل العراق جهوداً مضنية من أجل فتح باب الحوار من أجل التوصل الى حل سلمي للأزمة واستقبلت القيادة العراقية العديد من وفود الدول العربية والاسلامية والاجنبية وقدمت السلطات العراقية المختصة كل مساعدة لمغادرة الاجانب الأراضي العراقية الى بلادهم كما قدمت تسهيلات مهمة لمئات الألوف من العرب والاجانب الذين غادروا الكويت عبر العراق في طريقهم الى الاردن •

الولايات المتحدة تقرر شن العدوان على العراق
قبل أول اجتماع لمجلس الامن حول الازمة

إن من الواضح اليوم ان الولايات المتحدة قامت بالعدوان على العراق تنفيذاً لخطة قديمة وان الرئيس الامريكي السابق بوش اتخذ قرار مهاجمة العراق بمفرده وقد عارضه منذ البداية رئيس هيئة اركانه الجنرال كولين باول • إن ارسال التحالف الدولي لقوات برية وبحرية وجوية كبيرة جداً

الى الاراضي السعودية قد شكل خطوة كبيرة وخطيرة معاً نحو تنفيذ مخطط مسبق يهدف الى تدمير القدرات العسكرية والصناعية العراقية • وكانت هذه المخاوف قد بدأت تتضح معالمها ، من خلال ما تبين انه حملة منسقة في الاعلام الغربي ، امتدت عبر ما لا يقل عن سنتين ، قبل نشوب الأزمة ، لخلق الانطباع بأن العراق يخطط ليصبح القوة المهيمنة في الشرق الاوسط استعداداً لمهاجمة اسرائيل بشكل خاص •

إن هدف الحرب العدوانية الامريكية كان تحطيم البلد العربي الوحيد الذي كان قد بدأ يتخلص من التخلف • وكان العراق بنظر الولايات المتحدة هو الطرف العربي الوحيد الذي بامكانه دعم الجهود القومية لتحقيق الحقوق العادلة والمشروعة للشعب الفلسطيني • وكانت بغداد وما تزال رمزاً لاصرار الشعب العربي وأقطار العالم الثالث على اتباع سياسة حرة مستقلة لا تقبل التبعية والهيمنة الامريكية • من جهة أخرى أرادت واشنطن أن تجعل حربها الشرسة ضد العراق مثلاً لدول العالم الثالث كافة التي تسعى نحو التحرر والتقدم ورفض الوصاية الامريكية •

وقد بذلت واشنطن جهوداً كبيرة في خنق كل محاولة لانتقاد عدوانها على العراق وقامت أجهزة الاعلام البريطانية والصهيونية بشن حملة اعلامية مضللة هدفها تشويه صورة العراق أمام العالم • ولم يحصل ان بلغ تحوير الاعلام وتضليله المستوى الذي بلغه في حرب الخليج • وكما قال جان بيير شوفنمان، وزير الدفاع الفرنسي السابق، الذي استقال احتجاجاً على موقف فرنسا من الحرب،وذلك في كتابه «أنا وحرب الخليج» بأن اعلام حرب الخليج الذي وجهته واشنطن يمثل إسفافاً فكرياً وأخلاقياً وقد كشفت حرب الخليج هبوطاً في مستوى الذكاء والمروءة،، لم يكن من الممكن تخيله على المستوى العالمي(٤) • إن الحرب العدوانية كانت من صنع إرادة سياسية واحدة هي إرادة جورج بوش التي فرضت على فهد ومبارك وبالتالي على كل الآخرين •

ما هي الاعتبارات الرئيسة التي دفعت جورج بوش الى الاقدام على هذا العدوان الغاشم وبهذه السعة والشمولية والقسوة من التدمير الشامل للعراق ؟

١) تحقيق المصالح الامريكية والغربية بالاحتفاظ بمنابع النفط في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية التي يتوفر فيها أكثر من ٧٠٪ من احتياطي النفط في العالم ، واستخدام القوة الامريكية في الخليج للضغط على المواقف الاوربية في الحرب التجارية والمنافسة الاقتصادية ضمن الصراع داخل الدائرة الغربية •

٢) توظيف أزمة الخليج لمعالجة الأزمة الاقتصادية الخانقة التي حاقت بالولايات المتحدة • وقد بلغت مديونية الولايات المتحدة عام ١٩٨٩ أكثر من ٤٣٠ مليار دولار وبلغ عجز الميزانية أكثر من ١٥٠ مليار دولار • والتعويض لا بد أن يأتي من أقطار الخليج علماً ان مدخرات الاقطار الاخيرة في واشنطن كانت أكثر من ٧٥٠ مليار دولار بينما بلغت مديونية الاقطار العربية مجتمعة ٢٥٠ مليار دولار • أي ان مدخرات أقطار الخليج المودعة في الخارج كانت أكثر من حجم المديونية العربية • ومن المفارقات ان هذه الدول الغنية هي التي خفضت سعر النفط وهي التي طالبت العراق ، وهو مرهق بحرب طويلة ، باسترداد ديونها لديه وتسببت بالأزمة(٥) •

٣) محاولة تصفية القضية الفلسطينية وذلك من خلال عزم اميركا على تدمير القدرات العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية العراقية الذي سيدفع العرب الى مائدة المفاوضات المباشرة مع اسرائيل بدون غطاء القوة ومن ثم الاتفاق معها والعمل على الاعتراف بها والتعامل معها اقتصادياً وثقافياً وبذلك يتحقق حلم الصهيونية في المنطقة •

٤) إن الحرب العـدوانية الامريكية هي محاولـة من قبل قادة الولايات المتحدة للانتقام من عقدة فيتنام التي تمثل أكبر هزيمة عسـكرية في تأريخ القوات المسلحة الامريكية • وقد صرح جيمس بيكـر وزير الخارجية الامريكية السابق « إن حرب الخليج قد حلت محل هزيمة فيتنام وقد دفنا أعراض غابات هانوي والى الأبد » •

المواقف الدبلوماسية البريطانية والفرنسية والسوفيتية

لم يكن من المستغرب أن تتخذ بريطانيا موقفاً سيئاً من العراق في ضوء تأريخها الاستعماري الطويل في المنطقـة العربية واستمرار أحقادها ضـد العروبة والاسلام • وقد ساهمت رئيسة الوزراء السابقة مركريت تاتشـر بحث الرئيس الامريكي على رفض الحلـول السلمية التي طرحت للازمـة واستخدام كل الوسائل العسكرية لتدمير العـراق تدميراً كاملاً ومن دون ابطاء • إلا ان العالم وخصوصاً العالم العربي أصيب بخيبة أمل كبـيرة من الموقـف الفرنسي ، فقد أدار الرئيس ميتران ظهره للصداقة الفرنسـية ـ العراقية التي تطورت منذ أيام الجنرال ديغول مع الاقطار العربية كافـة ، وبصورة مكثفة مع العراق في المجـالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية كافة • وقد سعى رئيس جمهورية العراق القائد صدام حسين لتوطيـد هذه العلاقات من خلال العديد من الاتفاقيات الثنائية التي تم عقدها مع فرنسـا منذ عام ١٩٧٣ ومن خلال تشجيعه الحوار مع فرنسا مما فتح المجال لعشرات الزيارات المتبادلة وعلى أعلى المستويات بين بغداد وباريس • ولم يسـبق لأية علاقة فرنسية مع الاقطار العربية ان تقدمت كما حصل مع العـراق • لقد تراجعت الدبلوماسية الفرنسية أمـام الاصرار الامريكي على تنفيـذ عدوان عسكري على العراق ، ورغم ان ميتران أراد طرح مبادرات فرنسية جديدة تحفظ ماء وجه فرنسا إلا ان تلك المبـادرات دفنت واضطر أخـيراً للمساهمة في العدوان ضد بلد صديق ساهمت فرنسا نفسها في بنـاء خطط

التنمية فيه وقد حصدت باريس من جراء ذلك أرباحاً مادية كبيرة وسمعة رائدة في العالم الثالث .

وقد استغلت واشنطن الظروف الاقتصادية وحالة التفكك التي كانت سائدة في الاتحاد السوفياتي . ولم يجد جيمس بيكر صعوبة كبيرة في الحصول على الدعم السوفياتي للسياسة الامريكية العدوانية ضد العراق وأدارت قيادة غورباتشوف ظهرها لعلاقات تاريخية وطيدة مع العراق بدأت بمعاهدة الصداقة والتعاون عام ١٩٧٢ فاتحة المجال لعلاقات متطورة في المجالات كافة . لقد حصل غورباتشوف على بعض المساعدات المالية المهينة من الغرب مقابل تخلي الاتحاد السوفيتي عن دوره الرئيس كقوة عظمى ومقابل تصويت موسكو المؤيد لواشنطن في مجلس الامن ... وقد حصل ذلك على حساب مصير الاتحاد السوفياتي وضد رغبة الشعوب السوفيتية التي شعرت بالمرارة من جراء مواقف حكامها تجاه صديقها العراق وكان موضوع العراق أحد الاسباب المهمة لقادة الانقلاب العسكري ضد غورباتشوف في أعقاب حرب الخليج .

وعلى صعيد آخر فقد سارت الصين الشعبية هي الاخرى في التيار الجديد ، ورغم انها تغيبت أحياناً عن التصويت ضد بعض القرارات الظالمة ضد العراق في مجلس الامن إلا ان موقفها أعطى ومنذ البداية الضوء الاخضر للولايات المتحدة للبدء بمشروعها العسكري الواسع ضد العراق الذي كان من أوائل دول العالم الثالث الذي اعترف بالصين الشعبية وأسس علاقات سياسية واقتصادية معها في الوقت الذي كانت واشنطن فيه تضع عقوبات على الدول التي تمارس مثل هذه السياسة تجاه الصين الشعبية .

دبلوماسية الجامعة العربية والامم المتحدة

حاول العديد من الاقطار العربية ومنها الاردن وفلسطين واليمن والجزائر وليبيا وموريتانيا والسودان ايجاد حلول عربية داخل الجامعة

العربية لأزمة الخليج إلا ان تلك المحاولات أجهضت نتيجة الضغوط التي مارسها الرئيس حسني مبارك مما أخرج القضية من الأيدي العربية وأعطى شرعية لتدخل القوات الامريكية والحليفة في المنطقة ومن ثم استخدام القوة العسكرية ضد العراق الأمر الذي عكس مشاركة مصرية في المؤامرة الغربية الكبرى ضد الوجود العربي • إن القرارات الغاشمة التي أصدرتها الجامعة العربية كانت في الواقع انتحاراً للجامعة العربية التي قبلت أن تكون أداة امريكية وصهيونية وتخلت عن دورها القومي ورسالتها الانسانية وبذلك دقت الجامعة العربية إسفيناً في جدار العمل العربي المشترك والتضامن العربي •

أما بالنسبة للأمم المتحدة فكان واضحاً منذ البداية ان الولايات المتحدة قد هيمنت على مجلس الامن وأخذت وبسرعة مذهلة لم تعرفها المنظمة الدولية في أية أزمات مماثلة ترتب اصدار قرارات متتالية ضد العراق تشمل تبريرات لاستخدام القوة العسكرية وفرض حصار اقتصادي عليه والسيطرة على ثرواته النفطية ورهن حاضره ومستقبله • وبدلاً من السعي لايجاد حلول سلمية للأزمة ضمن ميثاق الأمم المتحدة الذي يؤكد على ضرورة حل الخلافات بالطرق السلمية فان مجلس الأمن ساند التوجهات الامريكية في خنق كل محاولات السلام وظهر دي كويلار ، الأمين العام للأمم المتحدة (السابق) ، عاجزاً عن المساهمة بابداء أية محاولات جدية لاظهار صوت الأمم المتحدة وميثاقها حيال طبول الحرب التي كان يقرعها جورج بوش في كل يوم وساعة ودقيقة وثانية •

لقد عجز الأمين العام للأمم المتحدة عن تقديم أية مبادرات لاجهاض الأزمة التي كانت تعد لها الولايات المتحدة مئات الالوف من الجنود وأكبر ترسانة عسكرية وأكثرها تطوراً وتقدماً لتوجهها ضد بلد مسالم من دول العالم الثالث رفض الانصياع للهيمنة الامريكية • وحتى في زيارته الاخيرة لبغداد عشية العدوان لم يقدم دي كويلار أية اقتراحات وبدا كأنه دُفع

دفعاً من قبل واشنطن لتحقيق تلك الزيـارة لاعطاء الضوء الأخضر الاخير لواشنطن للبدء بالعمليات العسكرية ٠

واليـوم وفي ذكرى مرور عامين على العدوان على العراق لا يستطيع المؤرخ إلا ان ينتقـد دور الفراغ الذي لعبته المنظمة الدوليـة وحالة العجز المقصودة للأمين العام السـابق دي كويلار الذي باع هـو الآخر ضميره لواشنطن لمساعدتها في تحقيق أكبر مجزرة مروعة في التأريـخ ضارباً عرض الحائط بمبادىء وميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي والقوانين والأعراف الدولية والميثاق العالمي لحقوق الانسان ٠

صحيح ان الحروب ليست من نتاج تصرفات وأفعال أشخاص ولكنها حصيلة عوامل عديدة ولكن الثابت تأريخياً ان حرب الخليج كانت نتيجـة الارادة السياسية لادارة جورج بوش وساعده في تصميمه على العدوان كل من دي كويلار أمين عام الأمم المتحـدة السابق والرئيس المصري حسـني مبارك عرّاب الخيانة العربية للوجود العربي ومستقبل الأمة العربية ٠

مصـادر البحث

١ـ قسطنطين زريق : « نحن والتاريخ » بيروت ١٩٥٩

٢ـ هنري كيسنجر : « جدول أعمال ما بعد الحرب » نيوزويك ، ٢٨ كانون الثاني ١٩٩١

٣ـ الكتاب الابيض : « الاردن وأزمة الخـليج » آب ١٩٩٠ ـ آذار ١٩٩١ ، المملكة الاردنية الهاشمية ٠ عمان ٠ ١٩٩١

٤ـ جان بيير شوفنمان : « أنا وحرب الخـليج » ترجمة حيـاة الحويـك وجورج عطية ٠ عمان ـ دار الكرمل ١٩٩٢

٥ـ المهدي المنجرة : « الحـرب الحضارية الاولى ـ مستقبل الماضي ومـاضي المستقبل » ، الدار البيضاء ١٩٩١